أهمية الاستثمار في المعاجم العربية:
موسوعة "المستكشف" نموذجا

الدكتور إدريس ولد عتيه

– جامعة قطر –

يعد الاستثمار بمختلف أنواعه أحد مقومات النهضة والحياة لمختلف الأفراد والجماعات والدول والأمم. ولئن كانت أهمية الاستثمارات الاقتصادية التجارية والزراعية والصناعية والتقنية بارزة للعيان ظاهرة لا تخفي على أحد، فإن ثمة أنواعا أخرى من الاستثمارات التي لا تقل أهمية عن ذلك، ألا وهي الاستثمارات في الموارد البشرية والمهارات والخبرات، وما يتعلق بها من علوم ومعارف وتقنيات وخبرات، وعلى رأس ذلك الاستثمار في تعليم ونشر وتطوير اللغات المختلفة، بمختلف مهاراتها، بوصفها الوعاء والوسيلة التي تتواصل بها الأفراد والأمم.

وفي هذا الإطار، تأتي أهمية الاستثمار في اللغات ومختلف فروع تطويرها وتعليمها ونشرها، ومن بينها المعاجم اللغوية بشتى أنواعها الشاملة والمحدودة، والعامة والخاصة.

وعلى الرغم من قلة البيانات المتعلقة بتوثيق مكانة الاستثمارات في مجال اللغات في الاقتصاديات العالمية على صعيد الدول فرديا وعلى مستوى الاقتصاد العالمي جملة، فإن ثمة معلومات تشير إلى المكانة المميزة في الاقتصاد العالمي. وتتجلى هذه الأهمية في المظاهر التالية على سبيل المثال لا الحصر:

- مؤسسات ومراكز تعليم ونشر اللغات المختلفة الحكومية منها والخصوصية وما يرصد لها من استثمارات وميزانية وما تدره من أرباح مباشرة وفوائد وأرباح غير مباشرة (جلب السياحة والاستثمار، وترويج الاستيراد والإقبال على الخدمات والبضائع)
- المؤسسات الإعلامية والصحف والمجلات المتخصصة في المجال والقائمة باستعمال ونشر هذه اللغات وسيلة لنشر وتمرير ثقافة ورؤية سياسية وحضارية معينة (القنوات والإذاعات الناطقة بمختلف لغات العالم التابعة لمعظم الدول والكيانات الكبرى في العالم: صوت أمريكا، و بي بي سي، و إذاعة صوت ألمانيا، و إذاعة الصين، والجزيرة، والعربية، وروسيا اليوم، .... الخ)
- مؤسسات ومراكز تعليم ونشر اللغات المختلفة الحكومية منها والخصوصية وما يرصد لها من استثمارات وميزانية وما تدره من أرباح مباشرة وفوائد وأرباح غير مباشرة (جلب السياحة والاستثمار، وترويج الاستيراد والإقبال على الخدمات والبضائع)

ويمكن أن نذكر على سبيل المثال المؤتمر العالمي للغة العربية (التابع للمجلس الدولي للغة العربية)، الذي صاغ عدة أسئلة ومحاور للعمل من أجل النهوض باللغة العربية في مختلف المجالات. وهكذا، صيغت أسئلة حول الجهات التي يمكن أن تضطلع بجهد خاص في هذا المجال مثل:

"**المبادرات وتجارب الأفراد والمؤسسات في الاهتمام باللغة العربية**

- ما مضطلع المنظمات والهيئات العربية والدولية في الاهتمام باللغة العربية؟
- ما مضطلع مواقع التواصل الاجتماعي والمنتديات في الاهتمام باللغة العربية؟
- ما المبادرات والتجارب التي تسهم في الاهتمام باللغة العربية السليمة؟
- كيف يمكن أن تصبح اللغة العربية ضمن مشاريع وخطط الجذب السياحي في الدول العربية؟"

(ورقة مقترحات موضوعات المؤتمر الثاني للغة العربية).

وفي محور الاستثمار في اللغة العربية، صيغت أسئلة محورية تحت عنوان "**اقتصاديات اللغة العربية والاستثمار فيها**"، وكان من بين هذه الأسئلة:

- هل يعد الاستثمار في اللغة العربية جزءا من الاستثمار في الرأسمال البشري؟
- كيف يمكن الاستثمار في اللغة العربية؟
- ما مضطلع المؤسسات المالية والاقتصادية في الاستثمار في اللغة العربية؟
- هل يمكن مقارنة الاستثمار في اللغة العربية بالاستثمار في اللغات الأجنبية؟
- ما الجهود الفردية التي تبذل للاستثمار في اللغة العربية؟
- هل يمكن تحديد العوائد من الاستثمار في اللغة العربية بدراسات ميدانية؟
- كيف يمكن ربط الاستثمار في اللغة العربية بالاستثمار في التعليم؟
- ما الآليات والطرق المتوافرة للحصول على موارد لتمويل المشاريع والمؤسسات المهتمة باللغة العربية؟"

كما يمكن أن نستخلص جوانب أخرى للاستثمار في اللغة العربية تتعلق بعلاقة هذه اللغة بالتقنيات الحديثة، وآفاق تطوير تعليمها واستخدامها ونشرها عبر وسائط التقنيات الحديثة المختلفة. وهذا ما تنبه إليه القائمون على المؤتمر العالمي للغة العربية سالف الذكر، حيث أوردت عدة محاور بحثية مخصصة لهذا المجال.

وهكذا، تضمنت المحاور المقترحة لبحوث وأوراق المشاركة في هذا المؤتمر بندا خاصا بعنوان: "**اللغة العربية والتقنية الحديثة**"، احتوى على الموضوعات التالية:

- اللغة العربية والهندسة اللغوية
- تقنية المعاجم العربية وتحدياتها المختلفة
- ما الجهود القائمة في الترجمة الآلية؟
- ما المجالات التقنية التي تهتم باللغة العربية؟
- كيف يمكن أن تسهم التقنية الحديثة في تعليم اللغة العربية السليمة؟
- ما مضطلع الجامعات ومراكز الأبحاث في تسخير التقنية لخدمة اللغة العربية؟
- كيف يمكن ربط اللغة العربية بالتقنية والصناعة؟

- كيف يمكن أن تسهم المواقع الإلكترونية في نشر اللغة العربية السليمة؟
- ما المشاريع والمبادرات لرفع مستوى العربية في محركات البحث العالمية؟
- كيف يمكن إثراء المحتوى العربي على محركات البحث العالمية؟
- ما هي التحديات والعقبات التي تواجه اللغة العربية في التقنيات والصناعات" (من ورقة مقترحات موضوعات المؤتمر الثاني للغة العربية، المنعقد في .....)

نبذة تاريخية على التأليف المعجمي والجهد الفردي في الاستثمار فيه:

بدأ الجهد المعجمي في اللغة العربية مبكرا بعد النهضة الثقافية والعلمية التي تلت انتشار الإسلام وتوسع الدولة العربية الإسلامية خاصة في طورها العباسي، وما رافق أوجه من ازدهار حركة التدوين، والنقل والترجمة.

وهكذا، يمكن القول إنه كان من أول وأبرز المؤلفات المعجمية كتاب العين لمؤلفه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) – وهو معجم حقيقي بمعنى الكلمة – تضافرت فيه جل مواصفات المعجم، من مادة وترتيب وتعريف وشواهد.

وبعد "العين"، توالت أعمال ورسائل معجمية أخرى، إذ ألف أبو زيد (215 هـ) كتابا في المطر واللبن. وألف الأصمعي (215 هـ) كتبا صغيرة كلها في موضوع واحد. وألف النضر بن شميل (241 هـ) كتابا في خلق الفرس، كما ألف في الذباب ابن الأعرابي (429 هـ)

وجمهور اللغة لابن دريج (321هـ)، والبارع (356هـ) لأبي على القالي، وتهذيب اللغة للأزهري (370هـ)، والمقاييس والمجمل لابن فارس (395م). كما كان من هذه المعاجم لاحقا معجم "الصحاح" الذي ألفه أبو نصر إسماعيل الجوهري (ت 1005 م)، وقد كتبت له الشهرة والقبول وكان أكثر سهولة وأيسر استعمالا للمتعلمين والدارسين من غيره كما يشير إلى ذلك مجد الدين الفيروزآبادي في مقدمة قاموسه المحيط، يقول "واختصصت كتاب الجوهري من بين الكتب اللغوية (...) لاشتهاره بخصوصه، واعتماد المدرسين على نقوله ونصوصه" (مقدمة القاموس، خطبة المؤلف، ص 32 هـ، طبعة دار الفكر، بيروت، 1999).

وفي القرن الثامن الهجري ظهر لسان العرب لابن منظور (630 هـ/1232 م - 711 هـ/1311 م) ثم جاء القاموس المحيط للفيروزآبادي ت817هـ– الذي كان نقلة نوعية في تاريخ العمل المعجمي العربي– لشموله وغزارة مادته من جهة ولاعتماده منظومة اصطلاحية أكثر دقة وتفصيلا من جهة أخرى، فضلا عن تجنبه الطول المفرط مما سهل انتشاره واعتماده مرجعا فيصلا طيلة قرون طويلة؛ وقد ألفه القاضي مجد الدين الفيروزآبادي وأهداه إلى سلطان اليمن حينئذ الأشرف الرسولي الذي تلقاه بالإكرام وأفاض عليه الدعم والعطاء، كما نرى المؤلف يذكرذلك في خطبته.

ويتضح من تتبع بعض الأعمال المعجمية العربية الأولى مثل "العين" وصحاح "الجوهري" و "القاموس المحيط" أنها كانت أعمالا وجهودا فردية اعتمدت في إنجازها على الاستثمار الفردي والطموح والمؤهلات الشخصية من جهة، وعلى الدعم والسند المجتمعي والحضاري من جهة أخرى، متمثلا في وسط المنافسة وتشجيع الإبداع وازدهار التدوين والتأليف أحيانا، وفي احتضان السلاطين وعلية القوم وتكريمهم المادي والمعنوي في حالات أخرى.

- **المعاجم العربية الحديثة:**

بعد قرون ما عرف بالانحطاط أو الركود الثقافي والعلمي التي سادت البلاد العربية والإسلامية عموما منذ أواخر القرن 8 هـ/ القرن 15 م (إثر سقوط بغداد ثم الحروب الصليبية وسقوط الأندلس)، أخذت اللغة العربية تعرف انتعاشا جديدا، مع بوادر ما عرف بالنهضة الحديثة، في أواسط وأواخر القرن 19 م – بفعل عوامل خارجية وداخلية معروفة.

وتركزت بواكير هذه النهضة أو الحركة الفكرية والثقافية في بلاد الشام ومصر خصوصا، وكان من الطبيعي أن تنال اللغة العربية عناية خاصة في هذا الانبعاث الثقافي بوصفها الناظم والوعاء الثقافي الأبرز لشعوب المنطقة.

ويمكن أن نقسم الجهود الاستثمارية في المعاجم العربية الحديثة إلى عدة أنواع أو مراحل، لعل من أهمها:

- **جهد الرواد والمستشرقين:**
  - الآباء اليسوعيين
  - المستشرق الألماني "أوغست فيشر" والمعجم التاريخي

حيث ظهرت حركة نشطة في مجال الصحافة والكتابات الأدبية والترجمة من اللغات الغربية، لاسيما في بلاد الشام. واضطلع عدد من الرواد المسيحيين، تحت ظلال الهيئات والمؤسسات الكنسية الرسولية المختلفة أو دونه، بجانب كبير من هذا النشاط. وهكذا، ظهرت عدة محاولات أدبية ومعجمية وتصدرتها عوائل الآباء اليسوعيين وبطرس البستاني وأمين الريحاني، وفارس الشدياق والعلايلي وغيرهم.

وفي هذا المضمار ، يمكن أن نسجل معجم "أحمد فارس الشدياق" على القاموس المحيط للفيروزآبادي، ومشروع "المعجم التاريخي" للمستشرق الألماني "أوغست فيشر (1989–1949)".

- **جهود بعض الأفراد بالتعاون مع جهات معينة:**

استمر النشاط المعجمي شرحا وتأليفا وتصنيفا في صورة محاولات فردية إلى منتصف القرن العشرين وأثمر ذلك عدة معاجم، يمكن أن نبوب بعضا من هذه الجهود على النحو التالي:

  - المعاجم اللبنانية

التي اضطلع بها أفراد بجهود فردية وبعض الاستثمارات الخاصة واشتهرت منها أساسا المعاجم اللبنانية والبيروتية خصوصا بمختلف أحجامها وأنواعها (مثل سلسلة "المعجم المنجد" ومنجد الطلاب، ... الخ)

- المعاجم المترجمة:

وهي معاجم مزدوجة (عربية مقابل لغة أجنبية، أو العكس: إنجليزية–عربية مثلا، أو فرنسية–عربية، مثلا) بالغة الأهمية أيضا، حاولت تمكين العربية من مواكبة العصر والتطور العلمي واللغوي، من خلال ترجمة معاجم وقواميس غربية (خاصة الإنجليزية والفرنسية) وكان من أهمها:

- المنهل للدكتور سهيل إدريس
- المورد لمنير البعلبكي

- **جهود الهيئات والمجامع العربية القطرية والقومية:**

وقد انطلقت هذه الجهود منذ بدايات القرن العشرين تحت تأثير النهضة الثقافية العربية الحديثة، والاحتكاك بالثقافات الأوروبية وخاصة حركة الاستشراق.

وهكذا، ظهرت المجامع اللغوية العربية المختلفة في كل من القاهرة وبغداد ودمشق ولاحقا مكتب التعريب بالرباط في المملكة المغربية ... الخ. وقد استطاعت هذه الجهود – على الرغم من تأثرها بالإطار شبه الرسمي الذي تعمل فيه– تحقيق مكاسب محققة للغة العربية تمثلت في تراث كبير من البحث المعجمي الفرعي ومحاولات تقريب وتوحيد الاصطلاحات وتعريب ألفاظ العلوم والتقنيات الحديثة في اللغة العربية.

ويتسم هذا النوع من الاستثمار في المعجم العربي بعدة صفات منها الطابع الجماعي القومي، ورصد الميزانيات المالية الجمة ، والسماح بتبادل وإثراء الخبرات وتكوين المصادر البشرية، والاستعانة بالخبرات والتجارب العربية–العربية والأجنبية.

ومن أهم الجهود المعجمية في هذا السياق، يمكن أن نذكر:

- المعجم الوسيط للغة العربية– مجمع اللغة العربية بالقاهرة
- مجلة اللسان العربي، الصادرة بانتظام عن مكتب تنسيق التعريب في الرباط
- المعاجم الإلكترونية والتفاعلية:
  - معجم/برنامج صخر
  - المعجم التفاعلي العربي: مدينة الملك عبد العزيز الجامعية

الخ

نشأة وتطور بعض المعاجم الغربية الكبرى وجهود الاستثمار فيها:

لعل من المناسب من أجل تصور أهمية ومدى الاستثمارات المادية والمعنوية التي يمكن – ويجب– بذلها في مجال المعجم العربي، سبيلا إلى إنهاض اللغة العربية ونشرها، وتحقيق الإقلاع الحضاري والثقافي للأمم والشعوب المستعملة للغة بالعربية من جهة أخرى، أن نلقي نظرة – ولو موجزة– على تاريخ وتطور إنجاز بعض أهم المعاجم الغربية الحديثة.

من بين أهم المعاجم الغربية الحديثة يمكن أن نذكر:

- معجم أكسفورد الإنجليزي البريطاني
- معجمي لاروس وروبرت الفرنسيين
- معجم كولينز الأمريكي

نبذة عن معجم أكسفورد الإنجليزي البريطاني:

يعد هذا المعجم أحد أكبر وأهم المعاجم الحديثة في العالم على الإطلاق، وأوسعها انتشارا وتأثيرا. ووفقا لناشري هذا المعجم، فإنه يستلزم من الشخص الواحد 120 سنة لطباعة 59 مليون كلمة للطبعة الثانية من قاموس أكسفورد الإنجليزي، و 60 عاما لتصحيحه و540 ميجابايت لتخزينه إلكترونيا(حقائق مكتب المديرة التنفيذية، موسوعة وكيبيديا الحرة).

وعلى الرغم من حجمه المثير للإعجاب، فإن قاموس أوكسفورد الإنجليزي ليس أطول أو أقدم قاموس في العالم، حيث إن أقدم قاموس كبير مخصص للغة أوروبية حديثة كان هو قاموس اللغة الإيطالية الذي صدر سنة 1612 م والمسمى "Vocabolario degli Accademici della Crusca"، بينما تعود طبعة قاموس الأكاديمية الفرنسية "Dictionnaire de l'Academine Française" سنة 1694 (Simon (1999 ،Winchester). *The Professor and the Madman* .New York: HarperPernnial. صفحات 111–112. ISBN 0-06-083978-3، راجع "الموسوعة الحرة: وكيبيديا: معجم أكسفورد).

كانت بداية معجم أكسفورد مبادرة من مجموعة صغيرة من المثقفين في لندن، من بينهم على الخصوص ريتشارد تشينيفيكس ترينش، وهربرت كوليردج وفريدريك فيرنيفال، الذين كانوا غير راضين عن القواميس الإنجليزية الحالية.. بدأ العمل في يونيو 1857 لتشكيل "لجنة كلمات غير مسجلة" للبحث عن

الكلمات غير المدرجة وغيرالمعروفة الناقصة في القواميس الموجودة. ثم اتضح بمرور الزمن ضرورة إعداد معجم مكتمل، وهكذا بدأ المشروع ينمو ويتعاقب عليه المحررون ابتداء من اكلوريدج، ثم فيرنفال، وانتهاء بجيمس موراي. وفي عام 1878، اتفقت مطبعة جامعة أكسفورد مع موراي على المضي قدما في المشروع الضخم، وكان الاتفاق رسميا في العام التالي. وهكذا، أصبح لمشروع المعجم ناشر بعد 20 عاما من التفكير في الفكرة، لكن تطلب الأمر مضي 50 سنة أخرى قبل أن يصبح القاموس كله كاملا (راجع "الموسوعة الحرة: وكيبيديا: معجم أكسفورد، المرجع السابق).

ونظرا لضخامة المشروع وضرورة استيعاب الكلمات والدلالات والاستخدامات كافة، خصوصا في ظل التطور العلمي من جهة واتساع رقعة الامبراطورية البريطانية من جهة أخرى، فقد استمر العمل في المشروع وتوسع نطاق الاستثمار فيه ليمتد عقودا من الزمن. وهكذا، لم تصدر أول طبعة كاملة لهذا القاموس إلا سنة 1928. ، ثم ظهرت الحاجة إلى تحديث المعجم فبدأ الإعداد لطبعة جديدة ثانية، منقحة ومراجعة؛ وهكذا، انطلقت جهود واستثمارات ضخمة اضطلعت بها شخصيات علمية كبيرة (ابتداء بتعيين روبرت بيرتشفيلد في 1957 لتحرير التكملة الثانية، الذي وسع القاموس ليشمل مجموعة كبيرة من كلمات جديدة من المجالات المزدهرة للعلوم والتكنولوجيا، فضلا عن الثقافة الشعبية والكلام العامي، كما وسع نطاقه ليشمل التطورات التي حدثت في اللغة في المناطق الناطقة باللغة الإنكليزية خارج المملكة المتحدة، بما في ذلك أمريكا الشمالية وأستراليا ونيوزيلندا وجنوب أفريقيا والهند وباكستان، ومنطقة البحر الكاريبي)، ثم مع تواصل العمل في المشروع في مؤسسات جامعية شهيرة في كل من انجلترا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية خاصة في جامعة فلوريدا– بعد أن تطور الحاسب الآلي وسهل العمل. وتكلل هذا الجهد، أخيرا، بعد أكثر من 60 سنة عندما ظهرت الطبعة الثانية المنقحة سنة 1989 في 20 مجلدا، وهي تضم 291500 مُدخل في 21730 صفحة (راجع "الموسوعة الحرة: وكيبيديا: معجم أكسفورد، المرجع السابق).

إن تاريخ وتطور معجم "أكسفورد" الإنجليزي يظهر بجلاء أهمية الجهود الفردية والجماعية والمبادرات الذاتية في أعمال معجمية كبرى، سيكون لها بمرور الزمن، أهمية حضارية وطابع مؤسس يتجاوز الأهداف الأولى ليشمل اللغة المستهدفة كلها بل وثقافتها والحضارة المرتبطة بالأمم الناطقة و المستعملة لها.

موسوعة المستكشف: المعجم المصنف:

تعد موسوعة "المستكشف" المعجمية محاولة جديدة في العمل المعجمي العربي الحديث، تتميز بعدة مزايا موضوعية ومنهجية أشار إليها كل من الدكتورين عبد العزيز التويجري (الجزء الأول) ومحمد مفتاح في المقدمتين اللتين كتباها لهذه الطبعة الأولى التجريبية للموسوعة، الصادرة عن المنظمة

الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (المستكشف: موسوعة معجمية مصنفة، الجزء 1، ص ص 9–11، الرباط، المملكة المغربية، 2011).

وعلى الرغم من أن هذه الموسوعة حديثة الظهور، بل يمكن القول إنها ما تزال غير معروفة في المجتمع العلمي والأكاديمي والبحثي عموما والجامعي والمعجمي على وجه الخصوص، فإن بعض الأثر والمؤشرات الأولية لها تعد إيجابية حتى الآن. والدليل على ذلك هو احتفاء منظمة الإسيسكو بها ونشرها في طبعة تجريبية أولية سنة 1432 هـ/2011 م، وأكثر من ذلك المشروع العلمي لتحويلها إلى معجم تفاعلي إلكتروني الذي تضطلع به وحدة البحث والبرمجة الحاسوبية بجامعة محمد الأول بوجدة بالتعاون مع المؤلف وتحت إشراف الدكتور/ عبد الحق لخواجه منذ سنة 2011

ويمكننا، في إيجاز، الإلماع إلى بعض جوانب الأهمية الاستثمارية في هذه الموسوعة المعجمية في النقاط التالية:

- أهمية المشروع الاستثمارية:
  - المساهمة في إنهاض اللغة العربية وتسهيل الاستثمار في مختلف جوانبها وحقولها الاستعمالية والدلالية والتاريخية
  - تحويل المعجم إلى معجم وبرنامج إلكتروني تفاعلي (مشروع جامعة وجدة بالتعاون مع المؤلف)
  - الأهمية لوسائل الإعلام والتقنيات الرقمية الحديثة
  - الأهمية للمجتمع العلمي والأكاديمي والبحثي
  - أهمية المعجم لاستخلاص عدة معاجم منه:
    - الثقافي الأدبي
    - الدلالي
    - التأريخي
    - الحضاري
    - الصوتي (المتقارب الصوتي)
    - معجم المترادفات
    - معجم الأضداد
    - معجم المحيا

  - **أنواع الاستثمار المنجز في المشروع حتى الآن:**
    - الاستثمار الفردي
    - الدعم من بعض الخواص

- الدعم من الأسيسكو (طبعة تجريبية أولية)

- **بعض آفاق الاستثمار في المشروع:**

- نشر هذه الموسوعة المعجمية المصنفة "المستكشف" في طبعة منقحة واسعة الانتشار مخصصة للهيئات العلمية والمراكز البحثية
- استكمال مشروع تحويل "المستكشف" إلى معجم تفاعلي وبرنامج حاسوبي، ونشره وتسويقه على نطاق واسع
- إعداد نسخة إلكترونية من الموسوعة المعجمية مصحوبة بالأداء الصوتي للمادة المعجمية الرئيسة وبعض الشواهد الأساسية، مثلا، على غرار المعاجم الغربية الحديثة المزودة بالنطق النموذجي.
- نشر الموسوعة في معاجم مصنفة فرعية حسب الدلالات والمضامين المختلفة – سواء في نسختها الورقية أو النسخة التفاعلية
- آفاق ترجمة هذه الموسوعة أو بعض أجزائها إلى بعض اللغات الحية الأكثر انتشارا.